

حوّل الاتفاق البريطاني - الفرنسي

ان نظرة أجمالية^(١) على الاتفاق البريطاني - الفرنسي بشأن سوريا ولبنان، من خلال نصوصه ومعانيه وروحه العامة تظهر ما يأتي: ان دولتين غريبتين راسختي القدم في سياسة الاستعمار والاعتداء على حقوق الشعوب العزلاء، نعني بهما بريطانيا وفرنسا، لاتزالان، بالرغم من التجارب الاليمة التي عاناها العالم من جراء هذه السياسة، محتفظتين بعقليتهما القديمة، ماضيتين في تصميمها العدواني على امتهان كرامة الشعب العربي والاستخفاف بحقوقه، في سبيل انتزاع منافع ومواقع من ارض هذا الشعب تمكنهما من استغلال ثروته وتهديد سلامته والاعتداء على حريته وسيادته والعبث بوحدته القومية وروابطه الروحية، كل ذلك بحجة الدفاع عن مصالحهما والاضطلاع بمسؤولية حفظ الامن والسلام وضمان الرفاهية والرخاء.

ان هاتين الدولتين تعتبران الشعب العربي بموجب هذا الاتفاق، قاصرا لايملك أمر نفسه، مغلوبا لا يستمتع بسيادته، فتبحثان شؤونه دون استشارته او الاكترت

(١) في الفترة التي تمتد من العدوان الفرنسي على البرلمان وبين جلاء الافرنسيين في نيسان ١٩٤٦ - وكانت فترة حرجة للغاية لان فرنسا لم تسلم ولم تياس من الاحتفاظ بمصالحها في سوريا وخصوصا في لبنان. بل عادت واسترضت الانكليز ودعمتهم الى التضامن معها في مطالبتها بهذه المصالح في سوريا ولبنان وهذا ما سجله اتفاق بيفن - بيدو. وكان حكم الكتلة الوطنية لايزال على عقليته القديمة يرضى بالتعاقد مع الافرنسيين ولا يرى في ذلك منكرا. فكان لطفي الحفار (وزير الداخلية في ذلك الحين) له موقف مشهور اصبح موضوع تمك وتندر - وهو انه ارسل الى المحافظين في سوريا يطلب منهم اقامة الزينات والافراح لمناسبة صدور هذه الاتفاقية. وكان هذا اسلوب الكتلة الوطنية في خداع الشعب. اذ يمثل هذه المظاهر توهم بأنها حققت نصرا او كسبا - ارادت ان تظهر ان الاتفاقية هي لصالح البلاد وانها تضمن الاستقلال. ولكن الشعب كان في حدة نيقظه بعد حوادث العدوان. وكان للحزب دور بارز في توعية الشعب وشن حملة على هذه الاتفاقية وفضجها. وتراجعت الحكومة وبقيت الاتفاقية حبرا على ورق.

برأيه. وهما، بالرغم من الغموض الذي تعمّدتا خلعه على بعض نصوص الاتفاق، مما يسمح لهما في المستقبل بأن تتدخلا في بلاد العرب بكل مناسبة تريدانها، لم تتورعا عن استعمال صراحة تبلغ حد الوقاحة في النصوص الأخرى التي سجلتا فيها حقهما الكاذب في مصالح متقابلة لهما في أرض الشعب العربي، وفي تحمل مسؤوليات لم يكلفهما بها احد، دون ان تغفلا تسجيل احترامهما لاستقلال سوريا ولبنان بشكل ينزل بهذا الاستقلال الى مستوى المنحة والوعد من لدنهما.

واخيرا فهذا الاتفاق يظهر أمراً لاسبيل الى تعميته هو ان بريطانيا عمدت الى اشتراء مخالفة الافرنسيين لها في الجبهة التي تشكلها في وجه دولة كبرى، فكان الثمن من جيب العرب ودمائهم وحرثهم، بتضحية سوريا ولبنان، والانتقاص من استقلالهما.

نظرة على النقاط البارزة في الاتفاق

١ - ان مجرد حدوث هذا الاتفاق بين بريطانيا وفرنسا على امور تخص سوريا ولبنان، البلدين العربيين المستقلين، هو استمرار للسيطرة البريطانية والفرنسية التي فرضتها هاتان الدولتان على الاقطار العربية بقوة السلاح. فالشعب العربي يجيب على ذلك بالرفض الاجماعي لهذا الاتفاق الاستعماري ويطلب من الجامعة العربية ومن حكومتي سوريا ولبنان ان تتبنى هذا الرفض وتعبّر عنه تعبيرا رسميا.

٢ - ان مجرد حدوث هذا الاتفاق الوحيد الطرف دون اشراك اصحاب العلاقة الشرعيين هو مخالفة صريحة للقواعد الدولية العامة وللمبادئ والمقررات التي أقرتها وأعلنتها هيئة الأمم المتحدة. فالشعب العربي يطلب من حكوماته التي مثلته في هذه الهيئة ان تعترض لديها على اخلال الحكومتين البريطانية والفرنسية بمقرراتها وتحملها مسؤولية ارجاع الحق الى نصابه.

٣ - ان ما جاء في الاتفاق عن أمر جلاء الجيوش البريطانية والفرنسية عن سوريا ولبنان فيه مغالطة وخدعة خطيرة. فجلاء الجيوش البريطانية أمر طبيعي لافضل ولا منة فيه لاحد علينا، لان وجود هذه الجيوش في سوريا ولبنان كان لمقتضيات الحرب فحسب. ولكن المسألة الشائكة الخطرة هي في وجود القوات الفرنسية في هذين

البلدين العربيين اللذين ظلّا طوال ربع قرن عرضة لعدوانها المتكرر الباغي ، وهي على الاخص في علاقة وجود هذه القوات بما لفرنسا في سوريا ولبنان من مطامع استعمارية فرضتها باسم الانتداب ، ويخشى ان تستمر على فرضها باسم ادعاء آخر جديد . فالاتفاق ينطوي على خدعة كبيرة ، لانه يعد بجلاء الافرنسيين عن سوريا ، وهذا امر حاصل ، ولكنه يقر ، مقابل هذه المنحة الوهمية ، مشروعية تجمع الافرنسيين وبقائهم في لبنان ، مع ان ذلك هو الخطر المخيف والخلاف الوحيد الذي ما زال العرب ينتظرون له حلا منذ نهاية الحرب الاخيرة .

واما تبرير بقاء هذه القوات في لبنان بحجة ضمان الامن الدولي في منطقة البحر المتوسط ريثما يصدر قرار مجلس الامن الدولي بهذا الشأن ، فليس له معنى سوى ابقاء القديم على قدمه ، او بالاحرى الرجوع الى حالة الانتداب ، والتسليم لفرنسا بمدعياتها في زمن الانتداب ، وابقاء سوريا ولبنان تحت رحمة السلاح الافرنسي .

فالاتفاق البريطاني الافرنسي اذن قد تضمن ، مقابل الشروط الصريحة المخلة باستقلال سوريا ولبنان ، وعدا غامضا بالجلاء يوهم بانه في صالح هذين البلدين ، مع انه في الواقع يناقض الجلاء الصحيح وينفيه . فمن واجب الحكومتين السورية واللبنانية ان تحذرا من الانخداع بهذا الجلاء الناقص الكاذب ، لئلا تلزمتها موافقتها عليه بالموافقة على بقية اقسام الاتفاق .

أن حزب البعث العربي يعلن ان هذا الاتفاق هو شر على العرب في مجموعته وتفصيلاته ، وانه لا يختلف في شيء عن اتفاق سايكس بيكو وامثاله من تأمرات الدول الاستعمارية التي يعاني العرب نتائجها الوخيمة منذ ثلاثين عاما الى اليوم . والحزب اذ يسجل على بريطانيا وفرنسا غدرهما الجديد بالعرب في قضية سوريا ولبنان ، يهيب بالشعب العربي في جميع اقطاره ان يجيب على هذا الغدر بما يستحق من المقاومة والكفاح ، وان يبرهن للدول الاستعمارية ان له من تضامنه المتزايد وجهاده المتواصل ما يقوي على احباط مؤامراتها والغاء اتفاقاتها المجرمة .

عن حزب البعث العربي

صلاح الدين البيطار ، جلال السيد ، مدحة البيطار ، ميشيل عفلق

دمشق في ٢٦ كانون الاول ١٩٤٥